العنوان:	رحلة السلطان عبدالعزيز إلى مصر : قراءة في المصادر التركية
المصدر:	مجلة كلية اللغات والترجمة (جامعة الأزهر) - مصر
المؤلف الرئيسي:	الهواري، أحمد محمد أمين
المجلد/العدد:	ع 31
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2000
الصفحات:	255 - 310
رقم MD:	220670
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	ACI, AraBase
مواضيع:	العلاقات المصرية التركية، بواعث رحلة عبدالعزيز، المحمل المصري، رحلة العودة، التاريخ العثماني
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/220670

رحلـــة السلطان عبـــد العزيـــز إلي مصـــر

قراءة في المصادر التركية

دكتـــور

أحمد محمد الهوارى

قسم اللغة التركية – كلية اللغات والترجمة

جامعة الأزهر

القاهـــرة ٢٠٠٠ م

رحلة السلطان عبد العزيز إلى مصر

قراءة في المصادر التركية

تمهيد :

تمثل الرحلة ، سواء كانت برية أو بحرية في المفهوم العام ، مجازا ، أو فعلا فرديا أو جماعيا لما يعنيه اختراق حاجز المسافة ، وإسقاط الفاصل المعين بين المكان والمكان الآخر ، وذلك من أجل هدف معين . وقد تكون الرحلة هواية تشبع حاجة في نفس الإنسان ، ولكنها في الحالتين استجابة لدوافع محددة ، تدعو للانتقال من مكان إلى مكان آخر ، واختراق حاجز المسافة . وهذه الدوافع في الأغلب لا تخرج أن تكون دوافع دينية أو علمية أو تعليمية أو سياسية لتبادل الرأي وتوطيد العلاقات أو المناقشة في شئون الحرب والسلام .(١)

والرحلة موضوع البحث ، رحلة بحرية قام بها السلطان عبد العزيز(٢) (١٨٣٠ – ١٨٧٦ م) إلى مصر . وقد توقفنا عندها ، حيث كان السلطان برحلته هذه يعد السلطان العثماني الوحيد الذي ارتحل

---

(١) صلاح الدين الشامي : الرحلة العربية في المحيط الهندي ، عالم الفكر ، العدد ٤ ، م ٩٣٠ ، يناير ١٩٨٣ ، ص ١٣ .

(٢) تولى السلطان عبد العزيز ابن السلطان محمود الثاني عرش آل عثمان في ٣٠ يونيه عام ١٨٦١ م . ولد في إستانبول ، وتلقى تعليما مناسبا ، أتقن الفرنسية وتعلم الموسيقى ، كما كان يقرض الشعر . كان مولعا بممارسة الرياضة كركوب الخيل والقنص والتحطيب ، =

خارج حدود بلاده لزيارة مصر ، تلك الولاية العثمانية التي تميزت على سائر الولايات الأخرى بما أحرزته من تقدم في كل مناحي الحياة ، وتمتعت بشبه استقلال عن مركز الخلافة ، حتى أصبحت مثالاً يحتذي حتى للدولة العثمانية ذاتها وللولايات الخاضعة لها . وقبل أن نلقي الضوء في هذا البحث على الرحلة بكل تفاصيلها ، رأينا أنه لابد لنا من أن نتوقف على العلاقات المصرية – التركية إبان تلك الفترة . أما الرحلة فقد تابعناها منذ كانت فكرة حتى أصبحت واقعاً ، عارضين لآراء المؤرخين لتفسير البواعث والملابسات التي حثت السلطان للقيام بها منذ الاستعدادات قبل التحرك حتى الوصول إلى مشارف مدينة الإسكندرية ، وتناولنا بالوصف كيف قضى السلطان ومرافقوه أيام رحلتهم في كل من الإسكندرية والقاهرة . أما رحلة الإياب فتابعناها من مغادرته الإسكندرية حتى الوصول إلى إستانبول مروراً بإزمير . وكان الجزء الأخير تقويماً وتحليلاً للرحلة كما صاغته أقلام المؤرخين وتناولته بعض الصحف الأوربية ، وانتهينا إلى خاتمة تضمنت بعض النتائج .

= وكان يهوى المصارعة على وجه الخصوص حيث كان قوي البنية . وبالإضافة إلى أنه كان يهوى فن الرسم ، كان محباً للعسكرية وكان الأسطول يشغل حيزاً من اهتماماته ، حتى أنه كان يقوم بوضع تصميم للسفن بنفسه . تولى العرش وهو في الثانية والثلاثين من عمره ؛ وبرغم ما عرف عنه من إسراف وتبذير ، إلا أنه كان يتسم بالبساطة في مظهره .

أنظر :

[Yavuz Bahadıroğlu : Osmanlı Padişahları Ansiklopedisi , Ist , 1986 , S : 657].

إطلالة على العلاقات المصرية – التركية :

في غضون تلك الفترة ، أصدر السلطان عبد العزيز أمره العالي بولاية مصر للخديو إسماعيل [١] ، وبعد صدور هذا الأمر ، أقام عمه محمد عبد الحليم مقامه وسافر هو إلى الأستانة لتسلم فرمان التولية .[٢]

ويذكر جودت باشا في كتابه " معروضات " أنه مع بزوغ هلال عام ١٢٧٩ هـ ، وصل إسماعيل إلى دار السعادة لتسلم فرمان التولية ، ومثل بين يدي السلطان عبد العزيز ، فلقى منه كل حفاوة وإكرام وقلده

---

(١) هو إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي ، وهو ثاني أبناء إبراهيم باشا . ولد في ٣١ ديسمبر ١٨٣٠ م في قصر المسافر خانه (بالجماليه) . وعنى أبوه بتنشئته وتعليمه حيث تعلم مبادئ العلوم واللغات العربية والتركية والفارسية وقليلاً من الرياضيات والطبيعيات ، أرسله أبوه إلى فينا عاصمة النمسا ، كما نال في باريس حظاً من العلوم الهندسية . أتقن اللغة الفرنسية ، وبهرته باريس بما فيها من جمال . عاد إسماعيل إلى مصر في عهد ولاية أبيه إبراهيم باشا ، وعندما اشتد الخصام بين عباس والأمراء عند تقسيم ميراث محمد علي ارتحل إلى الآستانة ولم يعد إلا بعد مقتل عباس أثناء حكم سعيد . تولى بعض المهام السياسية في عهد سعيد ، وأثناء غياب سعيد تولى قائمقاماً بدلاً منه ، وذهب إلى سورية وزار المدينة المنورة في أوائل عام ١٨٦١ م . ولما أدركت سعيد الوفاة خلفه على عرش مصر في ١٨ يناير ١٨٦٣ م .

أنظر :

[عبد الرحمن الرافعي : عصر إسماعيل ، جـ ١ ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، ص ٦٩ ، ٧٠]

(٢) أمين سامي باشا : تقويم النيل ، م ٢ ، جـ ٣ ، القاهرة ، ١٩٣٦ ، ص ٤٦٤ .

إمارة مصر مع أفخر أوسمة الدولة ، أما الخديو فقد أهدى الباخرة الفخمة التي شيدها سلفه سعيد باشا وأنفق عليها مبلغاً كبيراً من المال ، لتكون ضمن ممتلكات السلطان .[١]

ومما لاشك فيه أن علاقة مصر بالدولة العثمانية آنذاك كانت رافداً مهماً في السياسة الخارجية ، وكان لها أثرها الفعال أيضاً في السياسة الداخلية حيث كانت الخطة التي أتبعها إسماعيل بالنسبة لمصر ، هي توسيع نطاق استقلالها ، وكسب أكثر ما يمكن من الحقوق والمزايا من الحكومة العثمانية ، حتى يصل بالبلاد إلى الاستقلال التام . وفي الحقيقة كانت هذه النزعة مما يحمد له ، وتعد من مفاخره ، فالوصول بالبلاد إلى الاستقلال التام كان الغاية التي ترمي إليها الحركة القومية في البلاد .[٢]

كان إسماعيل قد وضع نصب عينيه تحرير مصر من قيود السيادة العثمانية التي فرضتها عليها معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ م وفرمانات سنة ١٨٤١ م ، فأكمل العمل الذي بدأه محمد علي ، ولكن الفرق بينه وبين جده أن محمد علي كسب لمصر حقوق الاستقلال بقوة الجيش المصري ، أما إسماعيل فقد اعتمد على سلاح المال والرشوة يبذلها لرجال الأستانة ليحصل على الفرمانات التي وسع بها نطاق الاستقلال .[٣]

---

(1) Cevdet Paşa : Marũzât , Ist , 1980 , S : 57.

(٢) عبد الرحمن الرافعي : المرجع السابق ، ص ٧٢ .

(٣) نفسه : ص ٧٢ .

ولا يخفى أن وسيلة محمد علي هي صفحة مجيدة من تاريخ مصر الحديث ، تقرأ فيها الأجيال المتعاقبة مفاخر الجهاد القومي ، أما وسيلة إسماعيل فلا تستثير في النفوس إحساس المجد والفخار ، هذا فضلاً عن أنها من الأسباب التي دعت إسماعيل إلى الاستدانة من البيوت المالية الأجنبية ، فكانت من هذه الناحية من العوامل التي أدت إلى تصدع بناء الاستقلال الحقيقي ، فقد بذل إسماعيل تضحيات مالية جسيمة في سبيل الحصول على الامتيازات التي نالها ، إذ لم تكن حكومة الآستانة تصدر فرماناً إلا مقابل الأموال الطائلة من الرشاوى والهدايا .[١]

ويرى المؤرخ التركي أحمد صائب أن مسألة الامتيازات المصرية ، قد كشفت النقاب عن أحوال السلطان والقصر ، فظهر من ورائهما ما لم يكن في الحسبان . صحيح أن أرض الفراعنة مُنحت امتيازات عدة تقضي بحريتها في التصرف في شئونها الداخلية منذ عهد السلطان عبد المجيد (١٨٣٩م – ١٨٦١م) وعهد أبيه السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ م – ١٨٣٩ م) . وبالرغم من أن هذه الامتيازات كانت تقضي بعدم تدخل الحكومة العثمانية في أمورها الداخلية ، فقد حُفظت حقوق الخلافة ونفوذها عليها واستمر الحال على هذا المنوال مدة من الزمان .[٢]

---

(١) عبد الرحمن الرافعي : المرجع السابق ، ص ٧٢ .

(٢) أحمد صائب : وقعة السلطان عبد العزيز ، ترجمة محمد توفيق جانا ، المطبعة الهندية ، القاهرة ١٣١٩ ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

أما غاية ما كان يرمي إليه إسماعيل هو توسيع دائرة الامتيازات التي مُنحت للأسرة الخديوية من قبل الدولة العثمانية حتى تكون مستقلة في شئون إدارتها الداخلية والخارجية تمام الاستقلال ، فيمكنه أن يتصرف بما يحلو له دون رقيب أو ممانع . ولم يوفق إسماعيل في تحقيق غايته أثناء صدارة فؤاد باشا وعلى الأخص في عهد عالي باشا ، إذ كان عالي له بالمرصاد آنذاك ، وحينما تولى محمود نديم باشا لأول مرة أمور الصدارة ، كان إسماعيل يغدق على كل فرمان يمنح للحكومة المصرية مئات الألوف من الجنيهات رشوة لذوي الحل والعقد في إدارة أمور الدولة . ولا مشاحه في أن أهل القصر كان لهم النصيب الأوفر في الأموال المنهوبة .[١] وبلغت تلك الأموال التي بذلها إسماعيل طوال حكمه نحو أثنى عشر مليوناً من الجنيهات .[٢]

ومما سبق يمكن القول : إن الطريق الذي سلكه الخديو إسماعيل لتوسيع نطاق استقلال مصر عن الخلافة العثمانية ، قد كلفه أموالاً طائلة ، دفعته في النهاية إلى الاستدانة من الدول الأوربية ، وما كان يصل إلى هدفه ، لولا ما كانت عليه أحوال الخلافة العثمانية في تلك الآونة ، فلا شك أن البذخ والإسراف الذي عاش فيه السلطان العثماني وأهل قصره كان من العوامل التي شجعت الخديو على أن يسلك هذا المسلك الوعر ، فلم يكن الخديو أسعد حظاً من السلطان ، فكلاهما محباً للأبهة والعظمة والبذخ .

---

(١) أحمد صائب : المرجع السابق ، ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٢) عبد الرحمن الرافعي : المرجع السابق ، ص ٧٢ .

والرحلة موضوع البحث سوف تلقي الضوء على صفحة من صفحات العلاقات المصرية – التركية التي أثرت بلا شك في الاستقلال الفعلي لمصر .

بواعث الرحلة :

قبل أن ننتقل إلى تفاصيل رحلة السلطان إلى مصر ، لزاماً علينا أن نتوقف أمام آراء المؤرخين التي تختلف تارة وتتفق أخرى في ذكر الأسباب والدوافع المختلفة للرحلة ، فأمين سامي باشا في كتابه " تقويم النيل " يوضح أحد تلك الأسباب أنه عندما كان الخديو إسماعيل في الآستانة رجا السلطان التكرم بزيارة القطر المصري ، فأجاب السلطان ملتمسه ووعده بأن يكون ذلك عاجلاً .[١]

أما المؤرخ التركي أحمد صائب فيقف على سبب آخر ، هو أن العلاقات الودية بين مصر ومركز الخلافة قد توثقت أيام صدارة كامل باشا ، وتبلورت فكرة زيارة السلطان إلى مصر .[٢] وعلى هذا فالصدر الأعظم يوسف كامل باشا كان أحد البواعث في رحلة السلطان إلى مصر .[٣] وتتفق الدراسات على نفس الباعث الذي كان له الأثر البالغ في

---

(١) أمين سامي : المرجع السابق ، ص ٤٦٤ .

(٢) أحمد صائب : المرجع السابق ، ص ٣٧ .

(3) Mustafa Müftüoğlu : Yalan Söyleyen Tarihi Utansın , 5 Cilt , Ist , 1987 , S : 88 .

العلاقات الوطيدة التي سادت بين القاهرة والآستانة .[١]

ثم يجتهد المؤرخ أحمد صائب في إيراد سبب آخر لرحلة السلطان عبد العزيز إلى مصر والتعجيل بها ، هذا السبب يرجع إلى رغبة فؤاد باشا في إبعاد السلطان عن بعض الذين كانوا يؤثرون عليه ، وإقصائه عن دائرة نفوذهم ولو لفترة وجيزة . وهدفه من ترغيب السلطان في هذه السياحة إبعاده عن تلك الزمرة ، ومرافقته في الزيارة بصفته ناظراً للحربية .[٢]

ويذكر أحد رجالات الدولة المقربين : " أن فؤاد باشا قد أدرك مدى نفور السلطان منه ، فكانت هذه المبادرة ، حتى يفوز بالحظوة لديه مرة أخرى ، لذا فقد حثه على القيام بهذه الرحلة إلى مصر .[٣] ويتعرض المؤرخ التركي إسماعيل حامي دانشمند في مؤلفه الذي يهتم بتحديد التواريخ الدقيقة للأحداث وترتيبها وفق تسلسلها التاريخي لنفس هذا السبب في رحلة السلطان إلى مصر وهو أن كجه جي زاده فؤاد باشا الصدر الأعظم الذي نقل في تلك الآونة من الصدارة العظمى إلى نظارة الحربية قد حث السلطان للقيام بتلك الرحلة وكان هدفه من ذلك أن يكون ضمن معيته

---

(1) Ibrahim El Sanafiri : Osmanlı – Mısır Ilişkileri 1863 – 1882 , Doktora Tezi , Ist , 1993 , S : 30 .

(٢) أحمد صائب : المرجع السابق ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

(3) Yaşar Koçaki : Sultan Abdulaziz Han . Ist , 1978 , S : 24 .

ليحقق ما يصبوا إليه بعد أن سقط من الحسبان عند عزله من الصـــدارة العظمى .(١)

وإذا كانت تلك هي بعض الأسباب لرحلة السلطان لمصر كما ذكرها المؤرخون متمثلة في المحيطين به ، فلنا أن نتوقف عند باعث آخر للرحلة لدى السلطان ذاته ، محور الأحداث ومحركها ، لنتعرف على رؤيته كما تناولتها المصادر بالدراسة والتحليل والتي لا شك أنها تخالف رؤية رجالات الدولة الذين اغتنموا كل الفرص لحث السلطان على القيام بالرحلة كلّ لغرض في نفسه ، حيث إنماز السلطان عبد العزيز عما سواه من سلاطين آل عثمان بتفقد ممالكه بنفسه (٢) ، حيث قام في عهود سلطنته الأولى بتفقد دار صناعة السفن في إزميت ، كما طوف بمنطقه كَملك "Gemlik" (٣) ، وخلد إلى الراحة عدة أيام في مدينة بورصه ،

---

(1) Ismail Hami Danişmend : Izahli Osmanli Tarihi Kronolojisi , 4 Cilt , Ist , 1972 , S : 204 .

(٢) محمد فريد : تاريخ الدولة العليه العثمانية ، بيروت ١٩٧٧ ، ص ٢٩٨ .

(٣) كَملك : قديماً كان اسمها كيوس "Kios" ، وفي عهد الصليبيين تسمت باسم جيفّيتوت "Civitot". وأصبحت كَملك "Gemlik" في عهد العثملنيين . دخلت تحت سيطرة العثمانيين في عهد عثمان غازي عام ١٣٢٦ م وتطورت في غضون فترة وجيزة . وهي تحوي أثار الترك القديمة والحديثة ، ففيها الجوامع ، والمزارات ، والجسور . تحدث الرحالة التركي أوليا جلي عن قلعة كملك في كتابه " سياحتنامه " تفصيلاً . وفي العهد العثماني كانت بها دار صناعة السفن ، التي تعد من مصادر الدخل المهمة من الناحية الاقتصادية . أقيمت فيها كنائس للروم الأرثوذكس وللأرمن .
أنظر :

[Pars Tuğlacı : Osmanlı Şehirleri , Ist , 1985 , S : 135 , 136]

فذاق بذلك متعة الترحال والسياحة .[١]

كانت الدولة العثمانية في تلك الآونة قد شعرت بضعف سيطرتها في منطقة البلقان نتيجة للأفكار القومية ونزعة الاستقلال ، كما لم ينس رجال الدولة توتر العلاقة بين مصر والدولة العثمانية في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، إضافة إلى مسألة قناة السويس التي ظهرت في عهد عبد المجيد وأثرت في علاقة إنجلترا وفرنسا بتلك الولاية ، وإن كانت مصالح الدولة العثمانية قد أكدت ارتباط مصر وشعبها المسلم بالسلطان وبمقام الخلافة .[٢]

وعلى ذلك تملكت السلطان الرغبة الشديدة في أن يتفقد ويشاهد عن قرب مصر على وجه الخصوص باعتبارها إحدى ولاياته المتميزة التي سمع أنها خطت خطوات كبيرة نحو التقدم في كل المجالات برغم بعدها الكبير عنه . وقد استشعر عالي باشا الغيور على مصالح الدولة رغبة السلطان في زيارة مصر ، تلك الرغبة التي تبلورت وقت أن وصل إسماعيل إلى الآستانة حيث كانت مصر شبه مستقلة في عهد محمد علي باشا ، وعلى ذلك كانت مسألة إحكام السلاطين قبضتهم على مصر بمثابة اللفظ الذي فقد معناه ، فعندما قبل الرأي العام في مصر حكم الأسرة

---

(1) Ali Kemalî Aksüt : Sultan Azizin Mısir Ve Avrupa Seyahatı , Ist , 1944 , S : 3 .

(2) Enver Ziya Karal : Osmanlı Tarihi , 7 Cilt , Bas 3 , Ankara , 1983, S : 40

الجديدة ، ضاعت هيبة السلطنة ، حتى أن الفلاحين كانوا يعتبرون الخديو هو الحاكم الأوحد ، لدرجة أنهم لم يكونوا يعرفوا حتى اســـم الســلطان . ثم لاح في الأفق بعد ذلك حلم إقامة إمبراطورية عربية مما أفزع الســلطان العثماني بشدة .[١]

وعلى هذا قرر السلطان عبد العزيز زيارة مصر ، فكان هذا القرار مثاراً للتساؤل ، حيث لم يقم بزيارة مصر أي من السلاطين العثمانيين منــذ أن فتحها السلطان سليم في عام ١٥١٧ م . وفي الحق فإن مصر قد صــار لها وضع خاص في نطاق الدولة العثمانية ، فبعد استقرار أسرة محمد علي في حكم مصر ، لم يعد المصريون ينظرون إلى آل عثمان نفس نظرتـــهم السابقة " فولي النعم " هو الوالي من أسرة محمد علي . ولهذا رأى ساســة الآستانة أن يعيدوا إلى أذهان المصريين فكرة الولاء للسلطان . وهي الفكرة التي كانت تتمشى مع أطماع السلطان عبد العزيز الذي كان يتجه إلى تـأكيد سلطة الدولة العثمانية في كل مكان .[٢]

كان عبد العزيز قد أفصح عن رغبته في القيام بتنفيذ بعض ما جــاء في الخط الهمايوني من إصلاحات كانت تعتبرها بعض الـــدول الأوربيــة شرطاً لابد منه لاشتراكها في المحافظة علـــى ســلامة الدولـــة العثمانيــة

(1) Ali Kemalî Aksüt : S : 3.

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى : العلاقات المصرية – التركية فـــي عـــهد الخديـــو إســـماعيل (١٨٦٣ – ١٨٧٩) ، القاهرة ، ١٩٦٧ م ، ص ٢٩ .

ولكن قبل البدء في تنفيذ برامجه ، كان عليه أن يضع الخطط التي يسير على نهجها ، مما كان يستدعي التعرف على ما يفعله الغير ، وخير وسيلة لذلك هي الاطلاع الشخصي بالقيام بالرحلات ، فعبد العزيز قد صمم في بداية عهده على التعرف بنفسه على ما يجري في البقاع التي يحكمها . ولم يكن يرضى بأن يكون ألعوبة في أيدي مستشاريه الأوربيين ووزرائه الأتراك .[١]

وتتفق أراء بعض المؤرخين الأتراك على أن السبب الرئيسي وراء قرار السلطان عبد العزيز يكمن في أن صلات مصر وعلاقاتها بالدولة العثمانية منذ تمرد محمد علي قد أصابها الفتور والضعف ، حيث وضعت مصر الاستقلال نصب أعينها ، وتأكيد السلطان العثماني على أن يكون الولاء في مصر له كان مما يقوي روابط الدولة العثمانية بمصر . ويؤكد مصطفى مفتي أوغلو بأن السلطان إنما أراد بتلك الرحلة أن يقوي روابط شعب مصر به ، وأن ذلك من أهم الأسباب وراء اتخاذ السلطان لهذه الخطوة [٢] التي أقدم عليها بهدف ربط مصر بمقر الحكم من جديد والتعرف عليها من قرب ، بل واتخاذ ما بها مثالاً يحتذي لباقي الولايات العثمانية الأخرى .[٣]

---

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٣٠ .

(2) Mustafa Müftüoğlu : S : 88

وأنظر أيضاً :

[إسماعيل حامي دانشمند : المرجع السابق ، ص ٢٠٤]

(3) Ibrahim El Samafiri : S : 29 , 30 .

ولنا أن نتعرف أيضاً على رأي الباب العالي في رحلة السلطان عبد العزيز إلى مصر ، الذي أقر بأنها ستحقق فائدة عظيمة من الناحية السياسية ، وسوف تحدث تأثيراً بالغاً على الرأي العام في مصر ، وسوف تحرك من جديد المشاعر الصادقة التي خمدت طويلاً نتيجة للتقلبات السياسية . كما أقر أيضاً أنها ستحقق فائدة كبرى وفقاً لما أوضحه موسيو دو موتيه "M. do Mütiye" سفير فرنسا في إستانبول على وجه الخصوص الذي أكد على رأي عالي باشا في : " أن والي مصر يعتبر تابعاً للدولة العثمانية ، لا يختلف عن أي والي آخر من الناحية الفعلية والقانونية ، إلا أنه يعين بالوراثة . كما ذكر كذلك أن الرحلة ستحقق فائدة كبرى ، فمصر تعتبر من أهم مواقع الممالك السلطانية " وأنها تهدف إلى إحياء نفوذ السلطنة في ولاية رفعت راية العصيان ضدها ، مما يثمر في ربط إحدى الولايات المهمة بروابط متينة بالوطن الأم ، ولقد وجد ذلك هوى لدى السلطان الذي كان يرغب في إقامة إمبراطورية على أسس جديدة . وبناء على ذلك استقبل اقتراح الصدارة العظمى بحماس شديد ، وكانت الموافقة على القيام بالرحلة .[١]

وكان السلطان بقراره هذا قد خالف الأعراف ، وعلى هذا بدأ اهتمام العواصم الأوربية به ، وهل كان من أسبابه تحميل نفقات خزانة الدولة التي عانت إلفاقة على الحكومة المصرية ؟.[٢] لقد زعمت فرنسا أن الهدف

(1) Ali Kemalî Aksüt : S : 4.

(2) Aksüt : S : 4 , 5 .

من رحلة السلطان هو طلب المساعدة من والي مصـــر لإنقــاذ الدولــة العثمانيــة مــن ضائقتــها الماليــة . وطلــب وزيــر خارجيــة فرنســا " دروين دى لهويس : Droinde Lhuys " من " تاستو : Tasto " قنصــل فرنسا العام في مصر أن يراقب تحركات السلطان ، ويستطلع القـــرارات التي سيتخذها بشأن قناة السويس .[١]

أما سير " هنري بلور : Sir Hanri Bülver " سفير إنجلـــترا فـــي إستانبول فقد بذل كل ما في وسعه لعرقلة القيام بالرحلة التي كان قـــد تـــم الإعداد لها ، وساق لذلك أسباباً متعددة منها قوله : إن الاضطرابات ســوف تندلع في الآستانة وبلغاريا ، وأن إمارات الافلاق والبغدان تعانيان أوضاعــاً متردية ، وأن الباب العالي مشغول بمباحثات الاقتراض الجديدة وبالأزمــات المالية ، فالخزانة غارقة في الديون ، إضافة إلى أن الطقس ســيكون لــه تأثيراته الوخيمة على صحة السلطان .[٢]

ولم تكن الرحلة بهدف منح امتيازات جديدة للفرنســيين ، أو للقيــام بمهام سياسية في مصر [٣] ، ذلك القطر الشرقي الذي يفــوق غــيره فــي الاستعداد لقبول الأفكار الأوربية والمؤثرات الحديثة ؛ حيث أقيمت منشــآت زراعية وصناعية ، وتوفرت لديهم وسائل مواصلات لا توجد في الآســتانة .

---

(1) Ibrahim El Sanafiri : S : 31 .

(2) Aksüt : S : 5 .

(3) Ali Kemalî Aksüt : S : 5 .

ذاتها من سكك حديدية ، وطرق معبدة ، وقنوات عذبة ، إلى حركة تجارية نشطة ، هذا وغيره الكثير مما كان السلطان يبغي التعرف عليه وإدخاله في ولاياته المختلفة .[١]

استعداد الموكب السلطاني قبل التوجه إلى مصر :

فكر عالي باشا ملياً في الشخصية التي يمكن أن ترافق السلطان في رحلته إلى مصر . واستقر رأيه في النهاية على أن كجي زاده فؤاد باشا هو خير من يتولى هذه المهمة ، فهو من أصدقائه المقربين ، وقد سبق أن أرسل إلى مصر ، وتولى تقسيم الميراث بين أبناء محمد علي ، إلى جانب هذا ، فهو يتمتع ببعد النظر وبمثابرة وصبر ، كما أنه من أصحاب الخبرة في المراسم . أما فؤاد باشا فتردد أول الأمر في قبول المهمة ، ولكن سرعان ما أذعن نتيجة إصرار من السلطان عبد العزيز .[٢] حيث كان نجمه قد بدأ يسطع من جديد ، بعد أن تولى قيادة الجيش وصار له ثقل كبير في تسيير أمور الدولة .[٣]

وبناءً على رغبة السلطان ، أبلغ فؤاد باشا نظارة الداخلية : " أن العزم قد عقد على القيام بالرحلة السلطانية إلى البحر المتوسط ، مروراً

---

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٣٠ .

(2) Ak..üt : S : 6 .

(3) Ahmet Cevdet P : Tezakir , 13 – 20 , Ankara , 1986 , S : 263.

ببر شام ، ولكن لسبب ما تم التراجع عن هذا التفكير ، وتقرر الذهاب رأساً إلى مصر ، دون التوقف بالرحلة في أي مكان . وفي الحال قام الباب العالي بتبليغ ذلك إلى سفراء الدولة العليه عن طريق البرقية المؤرخة في ٤ أبريل عام ١٨٦٣ م " بأن السلطان سيتوجه إلى مصر ، وأن وزير الداخلية والحربية سيكونان ضمن معيته .[١]

وهنا يرسم الكاتب التركي علي كمالي آقسوت بقلمه صورة نابضة حية للاستعدادات التي شهدتها منطقة بشكطاش [٢] قبل حضور السلطان لأداء صلاة الجمعة يقول : " في أحد أيام الجمعة من شهر أبريل ، تعرضت بشكطاش لموجة من الزحام الشديد ، بدأت من الفاتح وآق سواى ومن مُلا گوراني " Mola Gürani " وطاش قصاب ومن زيره ك "Zeyrek"

---

(1) Ali Kemali Aksüt : S : 7 .

(٢) بشكطاش : هو أحد الأحياء الكبيرة ، يقع على ساحل الروملي بمضيق البوسفور ، ويقع أيضاً بين طولمه باغچه واورته كوى . مركزه يتبع بلدية بك أوغلو ، وبه مناطق كثيرة مثل يلديز ويكّي محله وقليچ على . وهو حي عامر بالأسواق والجوامع والمدارس العسكرية والمدنية ؛ الإعدادية منها والابتدائية . يقع قصر طولمه باغچه في إتجاه الغرب من بشكطاش ، أما قصر يلديز ففي الجهة الشرقية له . يقع قبر خير الدين باربروس فيه . وأكبر جوامعه هو جامع " بشكطاش " الذي شيده سنان باشا شقيق رستم باشا الصدر الأعظم في عهد سليمان القانوني . وبشكطاش قبل فتح إستانبول كان عبارة عن قرية صغيرة تسمى " ياسونيون " وعند فتح إستانبول حرك السلطان محمد الثاني أسطوله من هناك .

أنظر :

[شمس الدين سامي : قاموس الأعلام ، جـ ٢ ، إستانبول ١٣١٦ ، ص ١٣١٢].

وكوچوك آيا صوفيه [١] ، حيث تدفقت النسوة يصطحبن أطفالهن ، ومن يدري كم من المشقة عانين وهن يتجمعن الواحدة تلو الأخرى ، حتى امتلأت المناطق المحيطة بالجامع بجموع الناس برغم كل ما أتخذ من إجراءات وتدابير . كانت الدوريات تسير مترجلة ، وبينما رجال (الياوران) يسرعون الخطى يميناً ويساراً ، دلفت الفرق العسكرية من الثكنات القريبة والبعيدة في تتابع بآلاتهم الموسيقية ، وشغلوا الأماكن المخصصة لهم ، أما البواخر بديعة المناظر فكانت تتهادى وهي تعلو صفحة مياه البوسفور ، وتعالت أصوات المؤذنين المدوية بحلول وقت الصلاة ، وما أن رُفع الأذان حتى دخل الموكب السلطاني إلى جامع بشكطاش في أبهة لا مثيل لها . وأياً ما كانت مراسم التحية ، فلم يكن لها صدى كبير . سواء عند دخول السلطان إلى الجامع أو بعد الصلاة ، أو أثناء عودته إلى القصر حيث إن التصفيق كان لا يزال مدوياً فالرحلة ستكون قرابة الشهر ." [٢]

وينتقل بنا على كمالي آقسوت إلى لوحة أخرى حتى تكتمل الصورة في رسم معالم الاستعداد الذي سبق الرحلة إلى مصر . يقول : " بعد أن أدى الصدر الأعظم وشيخ الإسلام والوكلاء مراسم التحية ، انتقلوا إلى الحضرة السلطانية ، وأعلنوا فروض الطاعة والولاء ، استعداداً لمرافقة السلطان وتلقي الأوامر المتعلقة بمهام كل منهم . كان تولي السردار الأكرم

---

(١) أسماء بعض الأحياء في مدينة إستانبول .

(2) Ali Kemalī Aksüt : S : 8 .

عمر باشا الوزارة ، وإسناد رتبة قائمقام الأسطول لمصطفى باشا رئيس مجلس الشئون البحرية ، قد وجد استحساناً لدى فؤاد باشا ، حيث كان السلطان يعتمد كثيراً على كليهما . ثم تمضي الساعات ، ويزداد الترقب ، وتتركز العيون على المرساة وعلى البحر والسفن ، فالسلطان سوف يتحرك قبل العصر ، وإن تكن الساعة غير محددة تماماً . ولكن الساعة آنذاك كانت حوالي الثالثة ، حيث غادرت القافلة السلطانية ميناء إستانبول ، وظلت المدافع التي انطلقت من كلا الضفتين خاصة من السلميه والبوغاز تدوي مما كان له تأثير على أهالي إستانبول .(١)

مضى الركب السلطاني الذي كان قد ابتعد عن بحر مرمره وكان على النحو التالي : الباخرة " فيض جهاد " التي أهداها الخديو إسماعيل للسلطان ، عندما كان في إستانبول . وعلى متنها : السلطان عبد العزيز ، والأمير يوسف عز الدين ، وفؤاد باشا ، وقائد الأسطول ، ورئيس الكتاب ، والأئمة ، والندماء ، وكبير الأطباء ماركو باشا ، وبعض الرجال من مساعدي السلطان وإحدى الكتائب العسكرية بالإضافة للحرس . أما الباخرة " المجيدية " : فكان على ظهرها الأمراء مراد ، وعبد الحميد ، ورشاد (٢) ، والطبيب قايوليوني "Kapoleoni" . أما الباخرة " الطائف "

---

(1) Aksüt : S : 8 .

(٢) هم أبناء السلطان عبد المجيد ، تولى هؤلاء الأمراء العرش العثماني على التوالي . أنظر :

[T . yilmaz Öztüna : Turkiye Tarihi , 12 Cilt 12 , Ist , 1967, S : 30].

فكان على متنها : بعض القادة برتبة أمير الاي ، وقائد الفرقة الموسيقية السلطانية ، وكبير الصيادلة وكيميائي القصر ، وطبيب الأسنان . كما ضم الركب زورق إزمير الصغير . وكانت الباخرة " قارص " ، تقل خيول وعربات أفراد الركب برفقة موظف البريد ، بالإضافة إلى الباخرة " كملك " .

وبعد هذا الوصف للركب السلطاني عند مغادرته ميناء إستانبول متجهاً إلى مصر نتابع مع الكاتب التركي علي كمالي آقسوت وصفاً آخر نشعر معه أن فناناً يمسك بريشته ويضيف لمسات أخرى إلى اللوحة التي أمامه يقول : " الطقس كان جميلاً معتدلاً ، والبحر رقراقاً متلألئاً ، أما البوغاز فكان كالنهر المنبسط ، كانت العيون المسلطة على قصر دولمه باغجه [١] ترى النصب التذكارية الدينية والقومية التي تسطر باللون

---

(١) دولمه باغچه : يقع هذا القصر على شاطئ البحر في مواجهة إستاد اينونو الرياضي في منطقة دولمه باغجه الآن . سمى بهذا الاسم بسبب الحديقة التي أنشئت فوق ساحة من البحر . شيده المهندس قارابليان بأمر السلطان عبد المجيد (١٨٣٩ م) ، ثم اتخذه كثير من السلاطين العثمانيين مقراً لهم بعد ذلك ، كما اتخذه كمال آتاتورك مقراً لإقامته بعد عام ١٩٢٧ م ، اجتمع فيه مؤتمر البلقان الثاني ، كما كان مقراً لاجتماعات مؤتمر اللغة العام الذي عقد عام ١٩٣٢ م ، وكذا مؤتمر التاريخ عام ١٩٣٧ م ، اتخذه عصمت اينونو رئيس الجمهورية (١٨٨٤ م – ١٩٧٣ م) أيضاً مقراً لإقامته .

أنظر :

[M . Orhan Bayrak : Turkiye Tarihi Yerler Kılavuzu , Ist . 1982 , S : 284 , 285]

الأزرق ذكريات كل العصور ، ومع انعكاس صورة القصر على صفحة الماء كان المنظر يزداد جمالاً ".[١]

السلطان عبد العزيز في مدينة الإسكندرية :

مع بزوغ فجر يوم الثلاثاء ، السابع عشر من أبريل ، بدا من بعيد فنار الإسكندرية [٢] ، أحد عجائب الدنيا السبع ، كان منظره مهيباً مثيراً للجميع ، وبمجرد الاقتراب منه دب النشاط والحركة في جميع من على ظهور السفن ، خاصة فيمن على سفينة " فيض جهاد " التي تحمل السلطان . ثم تباينت المناظر ؛ فظهر أحد الوديان ، وبدت الأزهار ، ونخل الزينة المنسق الألوان بين التلال والجبال . ثم اقترب اليخت من الميناء تبعته السفن الأخرى ، بعدها انطلقت المدافع معلنة اقتراب السلطان من ديار مصر ، وكان الخديو إسماعيل قد اتجه بالبارجة الحربية " سائح البحر " لاستقبال السلطان .[٣]

---

(1) Aki Kemalî Aksüt : S : 8 . 9 .

(٢) **فنار الإسكندرية** : أنشأه المهندس مظهر باشا في شبه جزيرة رأس التين لإرشاد السفن القادمة إلى الميناء والخارجة منه ، وهو من أجل أعمال العمران التي تمت في عهد محمد علي ، كتب عنه كلوت بك : " لقد أحرز هذا الفنار إعجاب كل من شاهده من السياح ، فهو مما يكلل بالفخر المهندس المصري مظهر باشا الذي تلقى تعليمه في فرنسا ويوجب مدحه والثناء عليه " .

أنظر :

[عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد علي ؛ ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٤٧ ، ص ٣٤١ .]

(3) Aki Kemalî Aksüt : S : 13 .

ويسجل أمين سامي باشا في كتابه القيم " تقويم النيل " لحظة وصول السلطان عبد العزيز إلى مصر بقوله : " وصلت السفن الحاملة لجلالته ومن بمعيته إلى ميناء الإسكندرية فأطلقت مدافع السفن الراسية بالميناء عدة طلقات تعظيماً وإجلالاً بمقدمه ، واستقبله سمو الوالي استقبالاً يليق بمقام جلالته العالي ومعه صاحب الدولة عمه عبد الحليم باشا وجمع من عظماء مصر . وبعد أن قبل الخديو يد السلطان ، أدت مدافع السفن العثمانية التحية لجلالته وسلمه سيفاً مرصعاً .(١)

ثم استقل السلطان عبد العزيز البارجة الحربية التي أمر إسماعيل بتزيينها خصيصا له ، واتجه مباشرة إلى قصر رأس التين ، وطلب السلطان من الخديو أن يركب معهم ، وقال لفؤاد باشا : " سأكون سعيدا لو رافقني الخديو في البارجة التي أعدت من أجلي ، وجلس الأميران مراد ورشاد في مواجهة الوالي . كان الخديو إسماعيل يجلس على يمين السلطان وعلى يساره جلس قائدا الجيش والأسطول ، أما الأمراء مراد وعبد الحميد ومحمد ورشاد ويوسف عز الدين فجلسوا في الأماكن التي اختارها لهم السلطان . وعندما مضت البارجة ، أطلقت السفن العثمانية وسفن الدول الصديقة الراسية في الميناء عدداً من القذائف تصل إلى مائة قذيفة ، حتى غطى الدخان المكان ، ثم عزفت الموسيقى ، وصعد ملاحو السفن على الأشرعة ، وأخذوا يصفقون .

---

(١) أمين سامي : المرجع السابق ، ص ٤٦٩ ، ٤٧٠ .

كان الجنود المدرعون وكذا الموظفون بملابسهم الرسمية قد اصطفوا على اليمين وعلى اليسار بدءاً من الميناء حتى القصر لاستقبال السلطان .[١] كما كان في انتظار تشريف جلالته ومن بمعيته أمام قصر رأس التين المعد لإقامته ، فرقة كاملة من الجنود المصريين أدوا له التحية العسكرية .[٢]

علم السلطان عبد العزيز بالجناح الذي خصص له ، فأبدا امتنانه لحليم باشا . وبعد انتهاء مراسم الاستقبال قام فؤاد باشا على الفور بإرسال برقية إلى الصدارة جاء فيها : " أن حضرة السلطان والأمراء قد وصلوا إلى الإسكندرية ، ويتمتعون بكامل الصحة ، وأضاف أيضاً في برقيته بأن يتفضلوا بتبليغ القصر السلطاني هذا الخبر حتى يذهب القلق عن صاحبة العصمة الوالده هانم " .[٣]

ونتجول مع الكاتب التركي علي كمالي آقسوت داخل أروقة قصر رأس التين ، ليصف لنا بقلمه مأدبة طعام الغذاء التي أعدت للسلطان عبد العزيز حيث يقول : " يعتبر قصر رأس التين واحداً من القصور الفخمة ، وأحد أعمال محمد علي باشا البارزة . جناح الضيافة فيه مستقل ، وهو المكان الذي أقام فيه السلطان ، كما أقام فيه أيضاً الأمراء ومساعدو

(1) Aki Kemalî Aksüt : S : 13 , 14 .

(٢) أمين سامي : المرجع السابق ، ص ٤٦٩ ، ٤٧٠ .

(3) Aksüt : S : 14 .

السلطان والأغاوات والكتاب . أما القائد العام للجيش وقـائد الأسـطول فأقاما في جناح آخر . كان طعام الغذاء فاخراً ، وقد تم وضعـه وتنسـيقه على الطريقة الأوربية . وأثناء تناول السلطان للطعام كانت تتدفق كلمـات فؤاد باشا مسترسلة . كانت قاعة الضيافة لقصر رأس التين تقع في مكـان مرتفع يطل على كل الاتجاهات ، فهو يطل على الميناء ، ومصانع صناعة السفن ، وإدارة الجمارك ، ومستودعات المؤن ، كما كان يطل أيضاً علـى مصب ترعة المحمودية [١] وأرصفة الميناء ، والاستحكامات والمصـانع ، وكذا على كل المؤسسات التـي تمثـل مركـزاً للنشـاط والفاعليـة فـي الإسكندرية . كان محمد علي قد أنشأ مصانع بناء السفن وملحقاتها ، كمـا شيد ذلك الأسطول القوي الذي دمر في موقعة نافارين البحرية [٢] ثم أمـر بحفر ترعة المحمودية بتكلفة إجمالية تقدر بسبعة ونصف مليون فرنـك ، إنتهى العمل فيها في غضون عام كامل . وعلى أية حال كان السلطان وهو يشاهد تلك الأماكن من مقر إقامته في القصر ، يدرك كيف نفذت الأوامـر

---

(١) **ترعة المحمودية** : هي ترعة الإسكندرية القديمة أو خليج الأشرفية " ، وهي مـن أعمـال محمد علي الجليلة ، عنى بفتحها ، وكان غرضه من شقها ري الأراضي الزراعيـة فـي مديرية البحيرة ، وجعل من الترعة طريقاً للمواصلات بين الإسكندرية إلى داخل البلاد .
أنظر :
[عبد الرحمن الرافعي : المرجع السابق ، ص ٤٤٠]

(٢) **موقعة نافارين** : وقعت في ٢٠ أكتوبر ١٨٢٧ م بين أساطيل الحلفاء والسـفن المصريـة والتركية ، وقد بدأ القتال بإطلاق بوارج الحلفاء مدافعها على السفن المصرية والتركية التي أبدت بسالة في القتال ، إلا أن ضرب الحلفاء كان أشد فتكاً ، فدمر معظم السفن المصريـة والتركية ، وقد فقدت مصر في هذه الواقعة أسطولها الذي أمضى محمـد علـى السـنين الطوال ، يبذل الجهد وينفق المال في إنشائه .
أنظر : [عبد الرحمن الرافعي : نفس المرجع ، ص ١٨٣ ، ١٨٤].

بدقة حيث أمضى بعضاً من وقت الظهيرة يراقب تلك البانوراما الجميلة من خلال نوافذ القصر من على هذا المكان المرتفع المطل على كل الاتجاهات وهو يتقصى عن تلك الأعمال العظيمة ، وكيفية تشييد محمد علي لها . وكانت القناة والسكك الحديدية مما لفت أنظاره .(١)

وعندما حل المساء ، أضيئت المدينة كلها بدءاً من قصر رأس التين حتى ميدان القنصليات . وعلى هذا بدا القصر وسط هذا الميدان وكأنه اشتعل توهجاً بالأنوار . وقد شغلت الفرقة الموسيقية المكان المرتفع المقابل للقصر . وكانت الشرطة قد اتخذت الإجراءات الصارمة للغاية ، حيث أصدرت قبل عدة أيام بياناً رسمياً بمنع الأطفال والنساء من الاشتراك في الاحتفال ، هذا وقد صدر بيان رسمي آخر يحظر على أهل المدينة من ذوي الثياب الرثة مغادرة منازلهم .(٢)

بعد أن أخذ السلطان قسطاً من الراحة تناول الطعام بالقصر المذكور ، وكانت الشمس قد غربت وهبطت حرارة النهار وانسدلت ظلال الغسق ، فخرج السلطان من قصر رأس التين في عربة من أفخر عربات القصر المكشوفة ، تجرها أربعة من الجياد مطهمة ناصعة البياض ، يتقدمها عداءون بملابسهم المزركشة بالذهب ، واجتاز السلطان وإسماعيل على يساره شارع رأس التين فشارع الميدان فالمنشية ، فباب رشيد

---

(1) Ali Kemalî Aksüt : S : 14 .

(2) Aksüt : S : 15 .

والعربات المقلة للأمراء تتلو عربته الفاخرة [١] . وخلف العربة جنود السباهيه ومجموعة من الفدائيين يرتدون نوعاً من المئزر الأبيض ، وكذا الحرس ببنادقهم ذات الفوهات الواسعة . كان الطقس ملبداً بالغيوم ، والسماء مظلمة ، وبدأت الأمطار في الهطول ، واكتظت الشوارع والطرقات بالناس الذين جاءوا من كل فج عميق ، تحدوهم الرغبة في مشاهدة السلطان ، وصار المرور مستحيلاً في السوق الذي تحول بالأنوار إلى نهار بسبب الزحام . كانت العربة والموكب يسيران ببطء ، وبدت سعادة غامرة على السلطان وهو يشاهد تلك اللوحة الجميلة ، كما كانت طائفة من التجار يرتدون الملابس الجديدة ، ويقفون داخل حوانيتهم الصغيرة ، ينحنون في احترام شديد ، وينثرون العطور على قدمي السلطان . كما أقيمت أقواس النصر وسط ميدان المنشية ، وزينت بحوالي عشرين ألف مصباح ملون دون مبالغة ، حتى تحول الليل المظلم نهاراً . كانت الموسيقى تعزف في كل مكان . وعندما وصل السلطان منطقة القنصليات ، كان التصفيق يتعالى من كل مكان ، وكان جلالته يرد التحية ، وغمرت السعادة كل من في الشرفات وتقع عيناه على الزهور المتناثرة .[٢]

عاد السلطان إلى قصر رأس التين تغمره السعادة بعد تلك النزهة . وظل القصر عقب عودته مضاءً بالأنوار الملونة من البر والبحر أيضاً .

---

(١) أمين سامي : المرجع السابق ، ص ٤٧٠ .

(2) Aksüt : S : 15 , 16 .

وما أن شاهد الخديو إسماعيل الذي كان قد خرج من القصر مع أحد ضباط حاشيته السلطان ، حتى توقف ، وأدى له التحية إجلالاً وتعظيماً . وإذا كان من المتوقع أن يكون طقس ذلك اليوم بارداً ، حيث دار الحديث في إستانبول عن درجات الحرارة وسرعة الرياح في مصر ، فإن السلطان لم ينتابه القلق لذلك الحديث ولم يهتم به ورأى أنه لا مجال للحذر ، وأدرك أن كل ما قيل بخصوص الطقس لم يكن واقعياً ، حيث بدا الطقس جميلاً معتدلاً .(١)

بعد ذلك ، عقد الاجتماع الرسمي رفيع المستوى ، مثل فيه أمام السلطان من موظفي مصر ، راغب باشا كبير المستشارين ، وخورشيد باشا محافظ الإسكندرية ، وإسماعيل باشا وزير الحربية ، وأحمد رشيد باشا وزير المالية ، وذو الفقار باشا وزير الخارجية . ثم تقرر دعوة القناصل الموجودين في الإسكندرية ، الذين تم استقبالهم في قاعة الانتظار ، وإن كانوا لم يبلغوا عن طريق كامل بك المعتمد المصري في الإسكندرية قبل بضعة أيام وهل كان استقبالهم تنفيذا للمراسم ، ام بناء على رغبة السلطان ؟ ومع ذلك دخلوا إلى قاعة الاستقبال المستديرة دون الانتظار طويلاً ، واصطفوا على شكل نصف دائرة في حضور كل من الخديو إسماعيل وفؤاد باشا . وأثناء الحديث ، فتح الباب ودخل السلطان ، كان متوسط القامة ، نحيف الوجه ، ذا لحية سوداء مهذبة بعناية ، له عينان دائمة الحركة ، واسعة على غير العادة ، تدقق في كل مكان غير ناظرة

(1) Aksüt : S : 16 .

لأحد . كان السلطان يرتدي ملابس سوداء ، ويتقلد سيفه ، ويزين صدره بأحد الأوسمة ، وفي خنصر يده اليمنى تتلألأ ياقوته كبيرة الحجم . وعندما توجه ناحية القناصل ، قام الخديو إسماعيل بتقديمهم واحداً واحداً . وألقى الجنرال لاجوسكي "Lagoski" قنصل روسيا برقية تهنئة موجزة باللغة الفرنسية ، قام قائد الجيش العام بترجمتها .(١)

في هذا الاحتفال المقام بالقصر ، أثنى السلطان عبد العزيز على الخديو إسماعيل قائلاً : لم يكن غرضي من القدوم إلى مصر سوى منح واليها دليلاً جديداً على حسن نيتي وتقديري الشخصي له ، ومشاهدة ذلك الجزء الهام من الدولة العثمانية . إنني أكرس كل جهودي للعمل على تقدم ولاياتي ، ورفاهية جميع الرعايا ، وتوثيق روابطنا بأوربا ، وإنني لعلى يقين من أن الوالي يسير في نفس الاتجاه ، وأنه سيقوم بمهمته على أحسن وجه ، لأنه يسير على خطى ذلك الرجل العظيم من أمتنا " محمد علي باشا ".(٢)

وتم إكرام القناصل بأمر السلطان . ولقد تأثروا لذلك وكانوا يشعرون بكل مشاعر الشكر والعرفان من تلك الكلمات التي استمعوا إليها باهتمام كبير . وبحلول وقت المغرب ، انطلقت المدافع مرة ثانية ، وبعد فترة وجيزة ، خرج السلطان عبد العزيز للنزهة في المناطق القريبة ، وبخاصة

---

(1) Ali Kemalî Aksüt : S : 16 , 17 .

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٣٤ .

التي تقع فيها محطة السكة الحديد والمصانع والحدائق الغناء ، ورضوخا لأوامره كان عدد الأفراد في حاشيته قليلا جدا . استقل السلطان عربة مكشوفة . وكانت إحدى كتائب الفرسان تتولى أعمال الحراسة وعبر ميدان المنشية وحي رأس التين ، وقام بزيارة المزارات المقدسة المشهورة ، ومنها مزار النبي دانيال ، وقام بتشريف قصر محرم بك ، وهو قصر بسيط ، لكنه يعد من الآثار الفنية الجميلة ، وبستان المشير حليم باشا الذي تفرد في إكرام السلطان بأشياء خاصة ، حتى يدخل البهجة عليه . ولهذا ، أثنى عليه السلطان ثناء خاصا ، وأهدى الخديو إسماعيل سيفا مرصعا وأغدق بسعة على البستانيين .(١)

كان ذلك المساء أجمل من سابقه ، وكان حديث السلطان منذ الأمس لا يزال عن أهداف رحلته . وبرغم أن السلطان كان يرتدي ملابس بسيطة في مجملها ، إلا أنه كان يتسم بالهيبة . تناول العشاء في الحديقة ، ثم عاد إلى قصر رأس التين ليلا . وقد تزاحم الناس وزينت الطرق والميادين بأبهى زينة .(٢)

رحلة القطار من الإسكندرية إلى القاهرة :

اعتبارا من اللحظة التي وصل فيها السلطان أرض مصر ، كانت المدافع تنطلق في أوقات الصلاة الخمسة . وما أن أعلن عن صلاة الصبح

---

(1) Ali Kemalî Aksüt : S : 17 , 18 .

(2) Aksüt : S : 18 .

حتى استيقظ الناس . وحمل الخدم أمتعة السلطان ومن بمعيته في العربات التي تولت بدورها نقلها إلى المحطة ، فهم الوحيدون الذين يعلمون موعد مغادرته الإسكندرية حيث كان مقررا أن يغادر السلطان قصر رأس التين الساعة العاشرة . ومرة أخرى دوت المدافع معلنة هذا الخبر . وتدفق الناس مرة أخرى على الطرق ، واجتاز السلطان عبد العزيز المدينة مستقلا عربة مكشوفة . وأخذ يبادل جموع الناس التحية حتى وصل إلى المحطة حيث استقبله مديرو الأشغال بالتصفيق الحاد . وعلى ما يبدو أن السلطان كان يشاهد القطار لأول مرة عن قرب ، حيث تساءل كيف تتصل عرباته بعضها ببعض ؟ وكيف يتم سحب الخمسة عشر عربة من عربات القطار الثقيلة ؟ وكيف تقف العجلات بسرعة على قضبان السكة الحديد ؟ وكيف تتم أعمال الشحن والتفريغ المختلفة في المحطة . وكان سعيدا وهو يتابع هذه الأمور . وبعد أن ألقى نظرة سريعة على مبنى المحطة ، دخل مكان الاستقبال المعد في حافلة القطار ، أما بقية أفراد الحاشية ، فقد استقلوا عربات أخرى بالقطار .[١]

وبعد أن تابعنا مع الكاتب التركي علي كمالي آقسوت الوصف الدقيق للفترة التي قضاها السلطان عبد العزيز في مدينة الإسكندرية ، نتحرك مع رحلة القطار ونتوقف معه ، لنرى كيف سجل هذا الكاتب بقلمه وتابع عن كثب هذه الرحلة من الإسكندرية حتى مدينة القاهرة حيث يقول : بدأ القطار في التحرك الساعة الحادية عشر صباحا ، وكانت الجموع المحتشدة تودع السلطان بعبارات التعظيم . كان القطار على الضفة اليمنى

(1) Ali Kemalî Aksüt : S : 17 , 18 .

لنزعة المحمودية ، وعلى هذا امتد الطريق مدة ليست بقصيرة . ازدانت الحدائق الغناء التي أنشأها تجار الإسكندرية الأثرياء ، وكذلك الطواحين والمصانع والفيلات ، أي شملت الزينة الطريق من البداية حتى النهاية .(١)

وبعد مرور محطة أو اثنتين ، بدت فيها البهجة الغامرة على أهالي تلك المناطق ، نصبت الخيام في صف واحد في منطقة كفر الزيات الواقعة على الضفة اليسرى للنيل ، من أجل الاستراحة للسلطان وحاشيته . ومن هذا المكان شاهدوا المراكب تفتح أشرعتها البيضاء على ضفاف النيل العظيم ، وبدت الحقول الخضراء التي يرويها ، وشاهدوا الكوبري الحديدي الصلب الصامد كأنه يعجب من تدفق الماء من القناطر الضخمة الأثنى عشر التي تكلفت ١٠ مليون فرنك على هذا النحو . وكانوا يتساءلون كيف أنشئ الكوبري ؟ وإلى أية درجة يتحمل ؟ وهل يكون مانعا لعبور السفن ؟. وبينما المشير حليم باشا يوضح تلك الأمور ، نكر واقعة حدثت في هذا المكان ، وهي غرق الأمير أحمد (٢)، وكيف تم إنقاذه هو بمعجزة ، وبدا أن

---

(1) Aksüt : S : 19 .

(٢) وقعت هذه الحادثة عندما أقام سعيد باشا والي مصر سنة ١٨٥٨ م حفلا بالإسكندرية ، دعا إليها الأمراء ، فلبوا الدعوة ، ومن بينهم أحمد رفعت شقيق إسماعيل ، الذي كان قد اعتذر بسبب وعكة صحية ، وبينما كان الأميران عبد الحليم وأحمد رفعت عائدين إلى القاهرة بقطار خاص مع حاشيتهما ، سقطت العربة التي تقلهما في النيل عند كفر الزيات ، فغرق أحمد رفعت ونجا عبد الحليم ، وأصبح إسماعيل بعد غرق أخيه ولي عهد مصر حسب نظام الوراثة .

أنظر :

[عبد الرحمن الرافعي : عصر إسماعيل

حليم باشا كان يسعى إلى توطيد علاقته بالسلطان عبد العزيز .[١]

بعد الساعة الثالثة والربع ظهراً ، وصل السلطان إلى طنطا ، إحدى المدن الجميلة الكبيرة ، التي يتم فيها تجميع المحاصيل الواردة من أقـــاليم الدلتا . وقام بزيارة ضريح السيد البدوي . ثـــم كـــانت قليـــوب المحطـــة الأخيرة ، بعدها بدت التلال وجبل المقطم بمدينة القاهرة ثم أهرامات الجيزة كاللوحة الشاعرية . كانت الرياح قد بدأت تضفي برودة على أشعة الشـمس عند اقتراب القطار من القاهرة . وبدأت الأشجار في الظهور ، وبدت بينها مآذن وقباب الجوامع ، وكذلك القصور والمنازل . كانت أشعة الشـــمس لا تزال تلوح في الأفق حتى وصلوا إلى " قصر النيل " بمصر المحروســـة . وعند خروجهم من القطار وجدوا هذا القصر الجميل المقـــام علـــى النيـــل بوسفور مصر والذي حمل اسمه .[٢]

السلطان عبد العزيز في مدينة القاهرة :

بعد أن توقف الموكب قليلاً ، بدأ ثانية في المسير . وأخذ يتجه نحـــو قصر القلعة بين الحدائق والميادين والشوارع ، وأصوات التصفيق تتعـــالى من جميع النوافذ والأبواب بالقاهرة التي تزينت بالمصابيح والمشاعل فـــي المساء . كان كل ما أعد في هذا المكان يذكرنا بحكايات ألف ليلة وليلـــة . خرج السلطان وأخذ يصعد نحو القلعة ، والناس يصفقون بحمـــاس لـــه ،

(1) Aksüt : S : 19 .

(2) Aksüt : S : 19 , 21

ولمن بعربات الأمراء التي جاءت بعده ، ويهتفون " مرحى " . كان الجنود مدججون بالسلاح ، أما الفرق الموسيقية فكانت تعزف معزوفات مختلفة . دخل الجميع القصر الفخم ، تحدوهم سعادة غامرة . شغل السلطان عبد العزيز الطابق الأول الواقع في الجزء الأوسط من القصر ، أما الجانب الأيمن ، فشغله كل من يوسف عز الدين وكبير الأغوات وقائدا الجيش والأسطول وكبير الأطباء ماركو باشا . أما الجهة اليسرى ، فشغلها باقي الحاشية ومساعدو السلطان .(١)

كان هذا هو يوم الجمعة ١٠ أبريل الموافق ٢٢ من شوال عام ١٢٧٩ هـ ، وكان الناس يتساءلون في أي الجوامع سيؤدي السلطان الصلاة ؟ حيث تملكت أهالي مصر رغبة شديدة في رؤية جلالة السلطان العثماني . وفي النهاية تم الاتفاق على أنها ستقام في ساحة جامع محمد علي باشا حيث اتخذت فرق الموسيقى العسكرية مواقعها . وكان السلطان عبد العزيز ينتظر الحصان الأصيل الذي سيمتطيه ، وكانت باقي الخيول المعدة للوقوف أمام الموكب تقف متأهبة مزدانة ، ولقد اصطف الجنود في صفين ثم امتطى الوزراء ومن برتبة الفريق والجميع الخيول ، وهم ينتظرون السلطان ناحية الباب الخارجي . وظهر السلطان عبد العزيز في هيبة ؛ النياشين مرصعة على صدره وعلى ملابسه الرسمية الفخمة ، وأحنى الجميع رؤوسهم إجلالا واحتراما ، وأخذ الموكب في السير . كانت إحدى فرق المشاه من الفدائيين تسير خلف الموكب ، وخلفها إحدى الكتائب والمساعدون ، والجميع يمتطون أيضا الخيول . كان هذا الحشد الكبير

---

(1) Ali Kemali Aksüt : S : 21 .

يسير في المسافة القصيرة الواقعة بين القصر والجامع الذي كان مزدحما أيضا ، حيث كانت تلقى خطبة الجمعة كما يحدث عادة ، إلا أن إمام المسجد كان فطنا في ذلك اليوم عند اختيار موضوعها الذي دار في لغة بليغة موجزة عن أن الدين الإسلامي لم يقف حجر عثرة في طريق الرقي والتطور ، بل على العكس كان دائما يحث ويدعو إلى العلم والتقدم . فاستحوذ الإمام الذي أوضح تلك الحقيقة المؤكدة على استحسان السلطان .(١)

ولما قضيت الصلاة ، زار جلالة السلطان قبر محمد علي متناسيا كل ما بصفحات التاريخ بينه وبين الدولة العثمانية ، ووصفه قائلا : " إنه رجل عظيم ، وذكراه لن تموت أبدا ، وشجع الخديو إسماعيل وحليم باشا بكلمات " ليطول عمركم إن شاء الله ، فأنتم تعملون من أجل دولتي كأجدادكم ."(٢) ولما عاد إلى القصر كان في استقباله وفود المهنئين ، وكبار رجال الدولة ، والعلماء ، ورجال الدين ، والوجهاء ، والأعيان ، والتجار .(٣)

وتصادف أن كان يوم الجمعة هذا الموافق الثاني والعشرين من شوال ، يوم الاحتفال بالمحمل المصري في ارتحاله إلى الحجاز ، حيث

---

(1) Ali Kemalî Aksüt : S : 25 .

(2) Aksüt : S : 25 .

(٣) أمين سامي : المرجع السابق ، ص ٤٧٠ .

رأس السلطان بنفسه الحفل السنوي المعتاد .[1] وأصدر أمرا بأن يتسلم المحمل يوسف باشا أمير الحج . ثم تجول بالقصر الذي شيده محمد علي مارا بالجزء الجنوبي من القلعة ، حيث شاهد المحمل من هناك ؛ كان الشيوخ يمسكون بعصي في أيديهم ، ويلبسون العمائم البيضاء ، والخضراء والسراويل الحريرية ، ويتقدمون المواكب المختلفة على شكل موجات مختلفة الألوان . وكان هناك من يمتطون الجمال ، أما أمير الحج فكان يمتطي جوادا يتقدم الجمل الذي يحمل المحمل المرتحل من مصر إلى الحجاز . كان المحمل يطوي مدينة القاهرة ، متحركا من جهة الجنوب ، والناس في وداعه ؛ الخشوع يملأ قلوبهم ، حتى بلغ مشارف الصحراء عبورا من بابي النصر والفتوح . بعدها كان سيسلك الطريق مباشرة إلى البحر الأحمر . كان السلطان يرقب الموكب في حركته البطيئة التي كانت تضفي مشاعر فياضة على الأفئدة .[2]

وبعد أن تباعد المحمل ، استقل السلطان عربة مكشوفة وخرج للتنزه في المدينة ، ومر على قصر النيل ، وأبدى رغبة في تناول الطعام في قصر الجزيرة المخصص للخديو إسماعيل ، هذا القصر الشاهق كأنه قطعة من الجنة بحدائقه كثيفة الأشجار ، والزهور ، وبأحواض الماء المتدفقة ، وبرائحته العطرة التي تفوح على المكان كله ، وبممراته المزركشة بين

---

(١) أمين سامي : المرجع السابق ، ص ٤٧٠ .

(2) Ali Kemalû Aksüt : S : 26 , 27 .

أجنحة الضيافة وقاعة الحرملك ، حيث بدت السعادة وارتسمت الابتسامات على وجوه الجميع مع الموسيقى التي تعزف المقطوعات الجميلة في تواصل . وعند اقتراب الباخرة التي تقل السلطان ، بدأت الموسيقى العسكرية وعاد التصفيق مرة أخرى . ومع حلول المساء أضيئت المصابيح داخل الحديقة وخارجها ، وعلى ضفتي النيل ، فسار المشهد يذكرنا أيضاً بحكاية ألف ليلة وليلة .(١)

وفي الثالث عشر من أبريل ، وبعد أن زار السلطان عبد العزيز جامع الإمام الحسين ، وأغدق العطايا والهبات على خدامه ومشايخه ، زار مصنع السبائك ، ومصانع الأقمشة ، ومصنع الحديد ، ومصانع الأخشاب ، واستقصى ملياً عن تلك المؤسسات المقامة في منطقة بولاق ، هادفاً من ذلك أن تواكب المصانع في إستانبول ذلك التطور . ثم انتقل إلى القناطر بالباخرة " بادهو " وشاهدها من داخل الباخرة . وفي المساء عاد إلى قصر النيل حيث تناول الطعام ، ثم عاد في موكب مهيب إلى قصر القلعة ، وأدى الصلاة كالمعتاد ، ثم أجرى مباحثات مع رجالات الدولة ، صرح فيها بما يريده . وفي النهاية عاد إلى مقر إقامته .(٢)

كانت الأهرامات وما يتبعها من آثار مما تهفو نفس السلطان لمشاهدته . وكانت تلك الزيارة على قائمة البرنامج الذي أعد ليوم الثلاثاء الرابع عشر من أبريل . ولا شك أن تمثال أبي الهول لم يشاهده موكب

---

(1) Ali Kemalî Aksüt : S : 28 .

(2) Aksüt : S : 30 .

سلطاني على هذا النحو منذ آلاف السنين . ومن ناحية أخرى لاحت في الأفق إحدى البواخر البخارية في الجهة المقابلة لعربات القصر التي وصلت إلى الضفة اليمنى للنيل ، كما ظهرت الخيول والحمير المزدانة ، وأخذ كل شخص يبحث لنفسه عما يمتطيه ، وركب السلطان عربة تجرها أربعة خيول ، أما فؤاد باشا والخديو إسماعيل ، فقد استقلا عربة يجرها حصانان ، وذهب أفراد الحاشية السلطانية الآخرون على الجمال والخيول والحمير التي كان حمل من هم بالملابس العسكرية عليها ممنوعاً في القاهرة والإسكندرية ، أما في هذا المكان فلم يكن ممنوعاً . وبرغم أن الطقس كان حاراً في الصباح ، إلا أن الطريق المؤدي إلى الأهرامات كان جميلاً . وصل السلطان داخل العربة حتى سفح الأهرامات ثم نزل في الخيمة التي نصبت جهة الشمال الشرقي منها .(١)

كانت زيارة المتحف قد بقيت لليوم الأخير ٢٦ شوال . كان الطقس حارا ، وحتى يتخلص السلطان من تأثير الحرارة ، قرر الذهاب إلى قصر الجزيرة . وبدأ تحركه مع هذه التشريفة عقب تناول طعام الغداء ، ثم قام بزيارة ضريح السيدة زينب ، وبعد أن أغدق العطايا والهبات على خدامه ومشايخه ، رغب في مشاهدة المتحف الواقع على ضفاف النيل في بولاق . وأراد أن يطلعونه على التماثيل والصور النادرة . كان هذا المتحف قد شيده بخبرته ومتابعته [illegible]

---

(1) Ali Kemalî Aksüt : S : 31 .

" مارييت Mariette " [١] عالم الآثار التاريخية ، وهو يعد من المتاحف القيمة ، حيث جمع فيه " مارييت " الآثار المصرية المهمة التي ما أن شاهدها السلطان حتى أبدى إعجابه بها ، وأثنى على الخديو كثيراً . وبعد أن خرج من المتحف ، قام بنزهة بالباخرة لمشاهدة القاهرة القديمة .[٢]

عودة الركب السلطاني إلى الإسكندرية ومغادرة مصر :

في صباح اليوم الرابع عشر للرحلة اقتربت ساعة الرحيل ، وانتظرت العربات المحملة بالأمتعة أسفل بهو القلعة . كانت سحابة ترابية قد هبت فغطت الطريق حتى المحطة . وبين الساعة التاسعة والعاشرة ، بدأت المدافع في الانطلاق معلنة خروج السلطان من القلعة . وصرح فؤاد باشا في البرقية التي بعث بها إلى الباب العالي بالآستانة : " أن صاحب الجلالة السلطان عبد العزيز سيتحرك من مصر يوم الخميس ٢٧ من شوال

(١) مارييت **Mariette** : حضر مسيو مارييت إلى مصر سنة ١٨٥٠ م ، موفداً من قبل الحكومة الفرنسية للبحث عن بعض الآثار والمخطوطات . ظل يعمل حتى جعله سعيد باشا ١٨٥٠ م مأموراً لأعمال العاديات بمصر . ولما مات سعيد باشا لقى مارييت من إسماعيل تعضيداً كبيراً ، فأمره الخديو بإصلاح مخازن بولاق وتوسيعها ، وافتتحها في حفل رسمي ١٨ أكتوبر ١٨٦٣ م ، بعدها نقل المتحف إلى الجيزة ١٨٩١ م ، ثم إلى مكانه الحالي بجوار قصر النيل ١٩٠٢ م ، ودفن مارييت باشا عند مدخل المتحف .

أنظر :

[عبد الرحمن الرافعي : المرجع السابق ، ص ١٨]

(2) Ali Kemalî Aksüt : S : 33 .

الموافق السادس عشر من أبريل ، وأنه يرغب أن يكون الموكب الشعبي الرسمي يوم الجمعة في الإسكندرية تأكيداً لمشاعر الود .[١]

تأهبت القاهرة لمشاهدة الموكب المتصف بالأبهة والفخامة والعظمة والذي كان يتقدم في بطء ، حيث سدت جموع البشر الطريق ، وأصواتهم تتعالى بالدعاء على نحو متواصل . ولحسن الحظ لم يكن الحر شديداً ، وإن كانت الحرارة قد ارتفعت بضع درجات في محطة القاهرة . وتوقف القطار مدة لم تطل عند قصر النيل ، حتى يتمكن أفراد حاشية السلطان من تبديل ملابسهم الرسمية وارتداء ملابس السفر . وبعد ذلك مضى قطار السلطان وتوارى بين حدائق وبساتين القاهرة ، يتبعه قطار آخر ، يحمل الحاشية السلطانية وأمتعتها ، يليه قطار ثالث ، ثم توقف القطار في منتصف الطريق فترة حتى يزور السلطان ذلك المكان [٢] ذا المكانة الدينية . ثم وصل إلى الإسكندرية في الساعة الثالثة . ونزلوا في الحال في قصر رأس التين ، حيث نسمات الهواء العليل المنبعثة من المياه على شاطئ البحر المتوسط . وكالمعتاد انطلقت المدافع من القلاع ومن الحصون . بعدها أغدق السلطان عبد العزيز الكثير من العطايا والهبات في الإسكندرية كما فعل بالقاهرة ، فقد كانت عواطف السلطان تنحو تجاه المحتاجين حيث كان كريماً سخياً في بسط العطايا لهؤلاء ، وأبدى شكره

(1) Ali Kemalî Aksüt : S : 36 .

(٢) والمقصود بهذا المكان الذي يقع في منتصف الطريق هو ضريح السيد البدوي في مدينة طنطا .

وتقديره للجميع ، ثم خلد إلى الراحة استعداداً لرحلة العودة التي قرر أن تكون يوم الجمعة .(١)

عاشت الإسكندرية يوماً بديعاً ، حيث تزينت كالعروس ، وتوافد الناس من أهل المدينة والأجانب على الشوارع التي يحتمل مرور السلطان بها . كما توافدوا على المناطق المجاورة لجامع البوصيري ، فقد تنامى إلى أسماعهم أن حضرته سيشرف " موكب الجمعة " (٢) ، وسوف يشاهد أهل مصر السلطان المعظم للمرة الأخيرة . رفع المؤذنون الآذان ، ثم ظهر الموكب في أبهى صورة ، الخيول ذات السروج الأربعة ، يمسك بها المترجلون ، الفارس في المقدمة ، والتشريفاتي يفتح الطريق ، ثم أصحاب رتب المشير ، والفريق ، والقادة العسكريون ، والعلماء ، وأشراف الدولة ، يشكلون بزيهم العسكري الأنيق صفين فوق الخيول العربية الأصيلة المتنوعة الألوان ثم انضم مساعدو السلطان والجنود والخدم إلى هؤلاء ، حتى وصل قائد الأسطول وفؤاد باشا . كان قد تم تجهيز حصانين رائعين المنظر بسروجهما على سبيل الاحتياط ، ثم اصطف الضباط من أصحاب

---

(1) Ali Kemalî: Aksüt : S : 37 .

(٢) **موكب الجمعة** : تطلق كلمة سلاملق على قاعات استقبال الرجال في البيوت الإسلامية الكبيرة ، وفي التاريخ العثماني تطلق كلمة سلاملاق الاي على المراسم وعلى الموكب الشعبي الذي يقام عند ذهاب السلطان لأداء صلاة الجمعة ، ويسمى أيضاً موكب الجمعة . أنظر :

[M. Zeki Pakalın Osmanlı Tarih Deyimleri ve Terimleri Sözlüğü . İst . 1983 . S : 103 .

الرتب الكبيرة على شكل صفين . كان السلطان عبد العزيز الذي امتطى أحد الخيول العربية الأصيلة بين هؤلاء ، يقدم التحية للجموع المزدحمة على جانبي الطريق ، وخلفه إحدى الفرق العسكرية والمشاه مع الجنود الفدائيين . وعلى اليمين رجال التشريفة وعلى اليسار الكتبة ، ومساعدو السلطان فوق الخيول . وخلف كل هؤلاء فرقة عسكرية من الفرسان . كانت ملابس السلطان تتسم بالبساطة ، وخلا طربوشه من الزينة ، حيث تخلى عن الطره المزدانة بالجواهر التي كانت لآبائه وأجداده . فقط كان بخصره حمالة سيفه مع بعض النياشين . وبعد أن ابتهل إلى الله بالدعاء أدى الصلاة بالجامع .(١)

بعد ذلك اتجه السلطان إلى الباخرة ، وقام الخديو وحليم باشا وطوسون ابن سعيد باشا بوداع السلطان الذي نظر برهة إلى الخديو إسماعيل ثم قال : " إنني أرجو أن ينعم شعب مصر بالسعادة والرفاهية في ظل همتكم وعملكم الدؤوب ، لقد غمرتني السعادة من شعب مصر ، وسوف انتهز كل فرصة حتى أؤكد الاهتمام والامتنان سواء لشعب مصر أو لواليها " . وفي التو تم تشغيل ماكينات كل سفن الموكب . وسار الخديو خلف السلطان ، وبعد مناقشات وإجراءات مطولة ، غادر الخديو الباخرة " فيض جهاد " ، وبينما المدافع تدوي من كل مكان كانت أصوات التصفيق تتدفق كالسيل . أخذت الباخرة تتحرك من الميناء ثم استقل الخديو القطار عائداً إلى القاهرة .(٢)

---

(1) Ali Kemalî Aksüt : S : 38 , 39 .

(2) Aksüt : S : 38 , 39 .

رحلة العودة إلى إستانبول :

مكث السلطان عبد العزيز عشرة أيام في مصر ، عاد بعدها إلى بلاده في ٢٧ شوال عام ١٢٧٩ هـ الموافق ١٦ أبريل عام ١٨٦٣ م . كان سعيداً من كرم الضيافة الذي شعر به ، وأثناء رحلة العودة مر بإزمير التي استقبل فيها بحماس فياض . أما في إستانبول ، فقد استمرت الزينات والأفراح التي أعدت على شرفه لمدة ثلاثة أيام .[١]

وبعد أن تابعنا دقائق وتفاصيل رحلة السلطان إلى مصر ، وإقامته فيها ، ننتقل مع المؤرخ التركي أحمد جودت باشا ليسطر لنا بقلمه وصفاً لذلك الاستقبال الحار الذي استقبل به السلطان في كل من إزمير وإستانبول عند عودته من مصر ، ذلك الوصف الذي يعد في حقيقة الأمر بمثابة وثيقة تاريخية ، يحاول جودت باشا فيه أن يقارن بين مظاهر ذلك الاستقبال في كل من مصر وإزمير وإستانبول .

يقول : " بالرغم من أنه لم يذهب أي من السلاطين العثمانيين إلى مصر بعد ساكن الجنان فاتح مصر والبلاد العربية السلطان ياوز سليم خان لذلك فعند ذهاب السلطان عبد العزيز إلى مصر هذه المرة ، بلغت سعادة أهالي مصر ، وكل من لم ينل هذا الشرف مبلغاً عظيماً . فما أن

---

(1) Ibrahim El Sanafiri : S : 33

شاهدوا السلطان ولم يحتفظوا بهدوئهم وصمتهم ، وتضرعوا لله بالدعاء له بأصوات تعالت في الشوارع " [١]

وبعد العودة من مصر ، وصل السلطان إلى إزمير ، وبالرغم من تباين الأجناس في تلك المدينة ، إلا أن الجميع استقبلوه بالتصفيق الحار ، حتى الأجنبيات وبناتهن أخذن في الركوض وهن يصحن : " يعيش السلطان " ، وقد سُر السلطان من ذلك ، وأخذ يقول : " لم نشهد من أهالي إستانبول ذلك الحب والإخلاص الذي رأيناه في مصر وإزمير "[٢] .

انطلقت الرحلة من ميناء إزمير ، تتقدم صوب إستانبول ، وعلى أية حال فالحماس الذي كان بمصر وإزمير ، قد انتقل أيضاً إلى إستانبول فعقد عودة السلطان إليها ، دب الحماس في أهاليها وإن بدا ذلك غريباً عليهم ، حيث تحول الصمت المعتاد إلى حماس وتصفيق مدوي . كان أهالي إستانبول في مسألة الزينة العامة للمدينة قد فاقوا أهالي مصر ، وممن زاد انفاقهم عن باقي الحرفيين بائعو الأرز الذين زينوا حوانيتهم وكأنها حجرات العرس .

" أضيئت الشوارع بأنوار الفوانيس ، والقناديل ، وبالثريات القيمة . حيث تنافس بائعو الحصير وشمع العسل فيما بينهم في تزيين أسواقهم . وقامت طوائف الحرف الأخرى بابتكار أشياء مدهشة بهدف التنافس فيما

---

(1) Cevdet P : Marûzât , S : 58 .

(2) Ahmet Cevdet P : Tezakir , S : 264 .

بينها في زينة حوانيتهم ونزلهم بالأغصـــان ، وإضاءتـــها بـــالفوانيس ، والقناديل . وبدت الحدائق في كثير من الأحياء وكأنها أصصاً من الزهور ، كما زينت الحوانيت الصغيرة في الأحياء المنعزلة فـــي إســـتانبول حتـــى صارت المدينة في أبهى صـــورة . وتزينـــت كذلـــك المنـــازل بالقنـــاديل والمصابيح . وخلاصة القول : إن أهالي إستانبول قاموا بتزيين المدينة كلها بزينة ليس لها مثيل فتحولت شوارعها إلى حدائق مزدانة . على نفس هـــذا المنوال كانت سواحل البوغاز ، وأحياء اسكودار ، وغلطه ، وبيك أوغلـــو ففاقت إستانبول كل المدن ".(١)

وعلى هذا وصلت رحلة السلطان عبد العزيز إلى منتهاها ، ووطـــأ السلطان مقر خلافته بعد رحلة الذهاب والإياب هذه ، متنقلاً بيـــن مصـــر وإزمير حتى وصل إستانبول . وإذا كان المؤرخون قـــد انقســـموا علـــى أنفسهم ، واختلفت آرائهم في معرفة الدوافع المختلفة للرحلة ، فماذا كـــانت آراؤهم في تقييمها ؟ وكيف تناولتها بعض الصحـــف الأوربيـــة بـــالتعليق والتحليل ؟ .

الرحلة في رأي المؤرخين وبعض الصحف الأوربية :

كان من المتوقع أن يؤثر وجود السلطان في مصـــر علـــى مركـــز الوالي ، فظهور خليفة المسلمين بصحبة الأمراء واثنيـــن مـــن الـــوزراء

---

(1) Tezakir : S : 264 .

المتميزين في الباب العالي ، كل هذا كان من المحتمل أن يمس مركز الخديو إسماعيل على وجه الخصوص أو يزعزعه في نظر المصريين عند وقوع أية واقعة . ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث . حيث لم تحدث خلال إقامة السلطان عبد العزيز في مصر أية مناقشات سياسية تمس مركز البلاد ولم يصدر عن السلطان ورجاله ما يقلل من مركز الوالي ، بل أبدى السلطان سروره من تقدم البلاد في عهده ، بل وأثنى عليه " علماً بأن إسماعيل لم يحكم مصر إلا لبضعة شهور ".(١)

أما المؤرخ التركي رضا نور ، فيقف علي ما حققه الخديو إسماعيل من نجاحات بعد رحلة السلطان إلي مصر يقول : " عندما حضر السلطان عبد العزيز إلي مصر عام ١٢٧٩ هـ ، نجح إسماعيل باشا في الحصول علي بعض الامتيازات ، وحتى يتحقق له ما يريده أغدق كثيرا من الهدايا والأموال ، وبموجب فرمان ١٥ ذي الحجة سنة ١٢٨١ هـ ، منح السلطان عبد العزيز لمصر مصوع وسواكن شريطة أن يدفع الخديو ٧,٥٠٠ كيسه .(٢)

أما المؤرخ التركي أحمد صائب فحاول أن يرصد بعض ما تحقق لوالي مصر من رحلة السلطان ويذكر : " أن السلطان عبد العزيز قد عمل بوصية إغناتيف سفير روسيا في إستانبول في اتخاذه بعض التدابير

---

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٣٣ ، ٣٤

(٢) رضا نور : تورك تاريخي ، م ١٠ ، إستانبول ، ١٩٢٦ م ، ١٣٤٤ هـ ، ص ٣٦٧ .

برغم ما واجهه من عقبات ، ولقد منح خديو مصر إسماعيل باشا فرماناً تنتقل بموجبه الخديوية إلى أكبر الأنجال ، كي يعتاد الناس علي هذا الحال ، بعد أن اعتادوا انتقالها إلي الأرشد فالأرشد من الأسرة الخديوية .(١)

ولم يكتف السلطان عبد العزيز بذلك ، بل منح رجال الخديو الألقاب والنياشين ، كما منح إسماعيل النيشان المجيدي .(٢) وهو أرفع أوسمة الدولة العثمانية ، فتأكد بذلك مركز الوالي الأدبي (٣) . إضافة لهذا أغدق السلطان كثيرا من العطايا والهدايا أثناء الرحلة وهي علي النحو التالي :

" مجموع الأموال التي منحت للإنفاق علي مؤسسات التعليم والجمعيات الخيرية تربو علي ٥٠٠ ألف قروش – حسب تقرير قنصل فرنسا – واستحوذت والدة الخديو وثلاثة من زوجاته علي مجوهرات تقدر قيمتها بثلاثة ملايين فرنك علي الأغلب ، وخلاف هذا أهدى والدة الخديو النيشان العثماني المرصع الذي كانت تتقلده الوالدة سلطانه .(٤)

---

(١) أحمد صائب : المرجع السابق ، ص ١١٤

(2) Abrahim El Sanafiri : S : 33 .

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٣٤ ، ٣٥

(4) Ali kemali Aksüt : S : 78 .

أما إسماعيل فلم يدع فرصة زيارة السلطان دون الاستفادة منها ، حيث بالغ في تقديم الهدايا والتحف الفاخرة حتى امتلأت سفينة برمتها للسلطان ، والأمراء ، وكبار رجال دولته . وزود فؤاد باشا وحده بستين ألف جنيه عطيه من أجل خدمات كان من المفترض أنه أداها في سبيل تعزيز صلات الصداقة بين السلطان والوالي . وكان السلطان سعيداً للغاية لهذا ، وعبر عن سعادته لإسماعيل الذي كان في وداعه .[١]

ليس هذا وحسب ، بل لم يقنع إسماعيل بكل تلك الهدايا التي قدمها للسلطان ، وبعد حوالي شهرين من عودة السلطان اشترى ١٢ ألف بندقية ، كان قد أوصى بتصنيعها في مصانع باريس وأرسلها إلى الآستانة . فكان من نتائج رحلة السلطان إلى مصر أن تم إلغاء نظام السخرة ، وتأييد حياد قناة السويس .[٢] حيث جاءت تلك الزيارة لتقوية علاقة الدولة العثمانية بولاية مصر ، وإحباط أطماع إنجلترا وفرنسا في تحريض الخديو ضد الباب العالي .[٣]

ويؤكد المؤرخ أحمد صائب أن فؤاد باشا قد نال كل ما يتمناه في هذه الزيارة ، إذ تمكن من إزالة نفور السلطان منه ، واكتسب رضاه ،

---

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٣٤ ، ٣٥

(2) Abrahim El Sanafiri : S : 34 .

(3) Enver Ziya Karal : S : 40 .

فزاد نفوذه بين أهل القصر ، ونصب صدراً أعظماً إثر عودة السلطان من مصر .[١] وإن كان لم يفعل كل ما يتمناه أثناء صدارتــه التــي اســتمرت حوالي أربع سنوات ، وحتى يحافظ على مركزه اضطر أن يتستر على بذخ القصر [٢] ، فأنعم عليه السلطان بلقب " ياور أكرم " [٣] ولــم يكــن هــذا اللقب موجوداً في الدولة العلية قبل ذلك حيث كان فــؤاد باشــا أول مــن لقب به .[٤]

وعلى شرف تلك الزيارة السلطانية ، تم تسمية أحد شوارع مدينــة القاهرة باسم " شارع عبد العزيز " ويبدأ من ميدان العتبة ، ولقد ظلت هــذه التسمية إلى الآن لتحيي على الدوام ذكرى تلك الرحلة ، ويعتــبر المــؤرخ أمين سامي باشا أن ذلك من أهم آثار تلك الرحلة [٥]

---

(١) أحمد صائب ، المرجع السابق ، ص ٣٧ .

(2) Yaşar Koçaki : S : 29 .

(٣) **ياور أكرم** : هي كلمة فارسية والجمع " ياوران " ، ومعناها المساعد أو المعين . أما يــاور أكرم فتعني الشخص الملقب بلقب مساعد السلطان ، وهو من أصحاب رتب المشير العظــلم . وعند الجمع من الأصوب أن نقول : ياوران أكرم عن أن نقول : ياوران كرام .
أنظر :

[شمس الدين سامي : قاموس تركي ، دار السعادة ، ١٣١٧ ، ص ١٥٣٨ ، ١٥٣٩ .]

(4) Cevdet P : Marûzât : S : 57 .

(5) Ali Kemalî Aksüt : S : 36 .

وأنظر أيضاً :

[أمين سامي : المرجع السابق ، ص ٢٧١]

هذا وقد أحدثت رحلة السلطان عبد العزيز أصداءً واسعة في الصحف والمجلات الأوربية ، ومما وردَ في مقال صدر في جريدة بوست " Post " الإنجليزية عن تلك الرحلة : " أن السلطان قد عاود بفيض من البركات إلى الممالك الواقعة في الأناضول والروملي ، بعد أن ترك أهل مصر وقد غمرتهم سعادة بالغة من تلك الرحلة ، واستطردت الصحيفة قائلة : وبصرف النظر عما يحققه افتتاح قناة السويس في ظل تلك الظروف فلزاماً أن نقر بأنها ستكون طريقا وممرا للتجارة الدولية ، كما كان مجرى النيل المبارك منذ سالف الأزمان .[١]

أما صحيفة التايمز ، فقد سجلت في عددها المؤرخ في ٢٢ أبريل عام ١٨٦٣ م : " أن أحوال أوربا في تلك الآونة كانت غير مستقرة ، ولكن إذا أمعن رجال السياسة النظر في ظروف الدولة العثمانية ، فلا شك أنهم سيدركون أن واقعة مهمة حدثت ، ألا وهي سفر السلطان عبد العزيز إلى مصر . والجميع يعلم أن أيا من السلاطين العثمانيين لم يذهب إليها منذ فتحها . وعلي ذلك فرحلة السلطان عبد العزيز هذه إلى مصر تعد الأولى .[٢]

" ولقد أدرك السلطان خلال رحلته تلك أن ولاية مصر من أهم الولايات ، ورأى رؤى العين التغييرات الكبيرة التي حدثت في ظل العلوم

---

(1) Ali Kemalî Aksüt : S :71

(2) Aksüt : S : 71.

والمعارف وبكل الجهد والاجتهاد . وكان تحرك السلطان من إســـتانبول إلي الوديان البعيدة ، وإلي الصحارى غير المأهولة ، بهدف معرفة أي تقدم وصلت إليه الولاية المتسعة . ولا شك أن هذا التقدم كان سيعلي من منزلـة السلطان ونفوذه [١]

صحيح أن السلطان عبد المجيد قد قام بإحدى الرحلات ، لكنــه لــم يذهب أبعد من تلك الأماكن الواقعة في جزر البحر داخل حدود بلاده . أمـا السلطان عبد العزيز فقد سافر إلى إحدى الممالك البعيدة ، وتبــاحث مــع واليها بالوراثة ، فأكد حقوقه في تلك الديار التي حكمتها إحدى العائلات منذ سنوات بإجراءات صارمة . فمنذ حكمت عائلة محمد علي ولاية مصر وقد دب التنافس بين القاهرة وإستانبول حيث اتخذت كلتاهما الحضارة الأوربيـة مثالاً يحتذى ، مع الفارق أن القاهرة أقبلت على تلــك الحضــارة بخطــى سريعة ، أما إستانبول فأقدمت عليها بخطى متثاقلة . وقد أراد ولاة مصـــر أصحاب الحمية والبأس أن يرتبطوا بعلاقات صداقة مع دول أوربـــا كافــة ومع فرنسا على وجه الخصوص ، ولقد سعت فرنسا كذلك بكل مـــا فـــي وسعها لتحقق نفعا من تلك العلاقات . ومن المعروف أنها نجحت بدرجـــة كبيرة في هذا الصدد ، حيث ظلت فرنسا النموذج الــذي يحتــذي لمصـــر قرابة ٢٥ عاماً .[٢]

(1) Ali Kemalî Aksüt : S :71

(2) Aksüt : S : 71 , 72 .

وإذا كان السلطان عبد المجيد قد أحجم عن رؤية نهضة مصر التي فاقت نهضة بلاده ، فإن أخاه قد قدر الفائدة المرجوة من الاطلاع على هذه النهضة . وكان والي مصر السابق سعيد باشا قد قام برحلة إلي أوربا ، حظى فيها بترحيب كبير ، أما السلطان عبد العزيز فزار أجمل ولايات مملكته ، فذاعت شهرته وعظم نفوذه ، مما زاد من سعادته .(١)

لقد صرح السلطان : " بأنه جاء إلى مصر ضيفاً على الوالي في زيارة رسمية فقط ، وأنه لم يرغب في الإدلاء بالأوامر " . ومما لاشك فيه أنه كان لتلك الرحلة تأثير عظيم سواء على الأوربيين ، أو في أذهان المصريين . فالأوربيون أدركوا أن السلطان لا يتدخل في شئون الولاية ، أما أهل مصر فكانوا يعتبرون السلطان الحاكم الذي لا بد من احترامه وتبجيله . وما من شك أن السلطان عندما جاء إلى مصر أكد على هذا المعنى ، وبهذا حقق دعماً معنوياً عظيماً كان له أهميته عند أهل الشرق .(٢)

ومهما يكن من تأثير تلك الرحلة على مصر ، فإن حكمة وعقلانية الإنسان المصري كان لها تأثيرها على السلطان الذي تفقد بمصر

(1) Ali Kemalî Aksüt : S :72

(2) Aksüt : S :72 , 73 .

مشروعات لم تكن موجودة بولايات أخرى بدولته ، فلقد شاهد مثلاً السكك الحديدية التي كانت ستساهم في زيادة ثروات البلاد . وإذا ما كان العمـــل جارياً على إنشاء مشروعين للسكك الحديدية في الدولة العثمانية إلا أنه كان يسير بخطى حثيثة بسبب التراخي وسوء الإدارة . أما حماس أهالي مصـــر فقد ترك انطباعاً جيداً لدى السلطان ، ومن المؤكـــد أن كـــل مـــا شـــاهده السلطان في مصر قد دعم الرأي لديه في ضرورة إصلاح الدولة .(١)

ومن عجب أنه بالرغم من متابعة الأوساط السياسية الأوربية لرحلـة السلطان إلى مصر كما صرح بذلك سفير ألمانيا بإستانبول ، فإن الصحـــف التركية لم تأبه بها ، وبتأثيرها في الناحية الاقتصادية والسياسية أو بنتائجـها . وكان كل ما نشرته عبارة عن بعض المنظومات المنمقة وقصائد المديـــح غير ذات القيمة .(٢)

---

(1) Ali Kemalî Aksüt : S :73

(2) Aksüt : S :73

الخاتمة

بعد كل ما تعرضنا له في هذه الدراسة لرحلة السلطان عبد العزيز إلى مصر يمكننا أن نخلص إلى ما يلي :

- تعد هذه الرحلة من الأحداث المهمة ، غير المسبوقة في التاريخ العثماني من حيث وسمت السلطان عبد العزيز ببعد النظر والفكر المتجدد .

- حققت مصر تقدماً في مناحي الحياة المختلفة ، استحوذ على اهتمام السلطان طوال أيام رحلته ، حيث انجلت الصورة الحقيقة للعمران الذي انتشر في أرجاء البلاد ، وتبلورت الإمكانات السياحية من خلال الآثار التي امتلكتها مصر على مر العصور .

- حظيت زيارة الأماكن الدينية باهتمام السلطان عبد العزيز في فترة إقامته بمصر سواء في الإسكندرية أو في طنطا أو في القاهرة ، مما أكد على نزعته الدينية فهو خليفة المسلمين .

- كانت مظاهر الاستقبال الشعبي المتعددة للسلطان طوال أيام رحلته في مصر ، مما عكس مشاعر الحب والاحترام له . وفي الواقع كان لتلك المشاعر الفياضة تأثير بالغ عليه ، فكان دائم التعبير عن سعادته البالغة لذلك كلما سنحت له الفرصة .

- عكس برنامج الرحلة الذي أعد للسلطان سواء في الإسكندرية أو في القاهرة مظاهر الإسراف الذي بذله والي مصر أثناء الرحلة . وعلى الجانب الآخر أنفق السلطان من جانبه أيضاً أموالاً كثيرة ، فبدت سمة الإسراف والبذخ واضحة في سلوك كل من الوالي والسلطان .

- حقق كل من والي مصر والسلطان العثماني مكاسب معنوية من تلك الرحلة ، تلك المكاسب التي عززت ولو بشكل مؤقت نفوذهما كل في موقعه .

المصادر والمراجع

أولاً : المراجع العربية :

١ - أحمد صائب : وقعة السلطان عبد العزيز ، ترجمة محمد توفيق جانا ، المطبعة الهندية - القاهرة - ١٣١٩ هـ .

٢ - أحمد عبد الرحيم مصطفى (د) : العلاقات المصرية - التركية في عهد الخديو إسماعيل (١٨٦٣ م - ١٨٧٩ م) ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

٣ - أمين سامي باشا : تقويم النيل ، م ٢ ، جـ ٣ ، القاهرة ، ١٩٣٦ .

٤ - صلاح الدين الشامي : الرحلة العربية في المحيط الهندي ، عالم الفكر ، عدد ٢٤ ، م ٩٣٠ ، يناير ١٩٨٣ .

٥ - عبد الرحمن الرافعي : عصر إسماعيل جـ ١ ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٤٨ .

٦ - عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد علي ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٤٧ .

٧ - محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، بيروت ، ١٩٧٧ - ١٣٩٧ هـ .

ثانياً : المراجع التركية العثمانية :

٨ - رضا نور (د) : ترك تاريخي ، مجلد ١٠ ، إستانبول ، ١٩٢٦ .

٩ - شمس الدين سامي : قاموس الأعلام ، جـ ٢ ، إستانبول ، ١٣١٦هـ .

١٠- شمس الدين سامي : قاموس تركي ، دار السعادة ، ١٣١٧ .

ثالثاً : المراجع التركية الحديثة :

11 - Ahmet Cevdet P : Tezakir , 13 – 20 , Ankara , 1986 .

12 - Ali Kemalî Aksüt : Sultan Azizin Misir Ve Avrupa Sayahati , Ist , 1944 .

13 - Cedet P : Marûzât , Ist , 1980 .

14 - Enver Ziya Karal : Osmanlı Tarihi , Cilt 7 , Bas , 3 , Ankara , 1983 .

15 - Ibrahim El – Sanafiri : Osmanlı – Mısır Ilişkileri , (1963 – 1882) Doktora Tezi , Ist , 1993 .

16 - Ismail Hami Danışmend : Izahli Osmanli Tarihi Krono-Lojisi , 4 Cilt , Ist , 1972 .

17 - M. Orhan bayrak : türkiye yerler kılavuzu , Ist , 1982 .

18 - Mustafa Müftüoğlu : Yalan Söyleyen Tarihi Utansin , 5 Cilt , Ist , 1987 .

19 - M. Zeki Pakalin : Osmanli Tarih Deyimleri ve Terimleri Sözlüğü , Ist , 1983 .

20 - Pars Tuğlacı : Osmanlı Şehirleri , Ist , 1985 .

21 - T . Yilmaz Öztuna : Türkiye Tarihi , 12 Cilt , ist , 1967 .

22 - Yaşar Koçaki : Sultan Abdulaziz Han , Ist , 1978 .

23 - Yavuz Bahadıroğlu : Osmanlı Padişahları Ansiklopedisi , Ist , 1986 .

24 - Zuhari Danışman : Osmanlı Imparatorluğu Tarihi , 12 Cilt , Ist , 1966 .